الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

مقياس: المدارس الفنية في الرسم

السنة الثانية ماستر دراسات في الفنون التشكيلية

السداسي الأول للموسم الدراسي 2025/2024

المحاضرة 7: المدرسة التجريدية

مفهوم المدرسة التجريدية:

اهتمت المدرسة التجريدية الفنية بالأصل الطبيعي، ورؤيته من زاوية هندسية، حيث تتحول المناظر إلى مجرد مثلثات ومربعات ودوائر، وتظهر اللوحة التجريدية أشبه ما تكون بقصاصات الورق المتراكمة أو بقطاعات من الصخور أو أشكال السحب، أي مجرد قطع إيقاعية مترابطة ليست لها دلائل بصرية مباشرة، وإن كانت تحمل في طياتها شيئاً من خلاصة التجربة التشكيلية التي مر بها الفنان.

المذهب التجريدي في الرسم، يسعى إلى البحث عن جوهر الأشياء والتعبير عنها في أشكال موجزة تحمل في داخلها الخبرات الفنية، التي أثارت وجدان الفنان التجريدي. وكلمة تجريد تعني التخلص من كل آثار الواقع والارتباط به، فالجسم الكروي تجريد لعدد كبير من الأشكال التي تحمل هذا الطابع كالتفاحة، والشمس، وكرة اللعب، وما إلى ذلك، فالشكل الواحد قد يوحي بمعان متعددة، فيبدو للمشاهد أكثر ثراء. لا تهتم المدرسة التجريدية بالأشكال الساكنة فقط، ولكن أيضاً بالأشكال المتحركة خاصة ما تحدثه بتأثير الضوء، كما في ظلال أوراق الأشجار التي يبعثه ضوء الشمس الموجه عليها، حيث تظهر الظلال كمساحات متكررة تحصر فراغات ضوئية فاتحة، ولا تبدو الأوراق بشكلها الطبيعي عندما تكون ظلالاً، بل يشكل تجريدي، وقد نجح الفنان كاندسكي، وهو أحد فناني التجريدية العالميين في بث الروح في مربعاته، ومستطيلاته، ودوائره، وخطوطه المستقيمة أو المنحنية، بإعطائها لوناً معيناً وترتيبها وفق نظام معين، ويبدو هذا واضحاً في لوحته تكوين التي رسمها عام 1914 م، ويعتبر فن التجريد الزخرفي أحد الفروع الحديثة في الفن التجريدي وهو الفن التشكيلي الذي يعتمد على تجريد الأشكال الحقيقية أو الخيالية بإتباع أسلوب يميزه في الأشكال والألوان والخطوط مع التأكيد على إدخال الجانب الزخرفي والجمالي في لوحاته بحيث تعطي شكل ومضمون جمالي متكامل، وتصلح لوحاته للمتاحف والمعارض والمنشآت والقصور الخاصة للديكورات الداخلية وتتيح لمصمم الديكور الداخلي أو هاوي الفن أو

المقتني أختيار اللوحات التي تتلائم مع ديكورات المكان الداخلي. يعتبر الفنان التشكيلي العالمي رأفت عدس هو مؤسس ورائد فن التجريد الزخرفي، حيث تتميز لوحاته بإتجاهين رئيسيين هو تجريد الأشكال وزخرفة الخطوط والألوان، وتتميز لوحاته بالألوان الصريحة مثل الأحمر، والأصفر، والأخضر، والأزرق، بجانب اللون الأسود والأبيض في تناغم جمالي تجريدي وزخرفي مع استخدام اللون الأسود في تحديد الأشكال في لوحاته، وتتميز لوحاته بالجمال الوظيفي حيث يمكن استخدامها في القصور والفيلات ومقارات المراكز العالمية الهامة بالتنسيق والتناغم مع الأثاث والديكورات في أعمال التصميم والديكور الداخلي لهذه المباني والقاعات.

كان التطور الآخر في تاريخ الفن في اتجاه بزوغ التيارات التجريدية والاستخدامات البارعة للخامات ومحاولات الاستقلال عن العالم الواقعى، على اعتبار أنه مصدر للموضوعات والأفكار. وتنشأ النظريات عن الطاقة الدرامية للخطوط الرأسأفقية وهكذا توصلت التجريدية إلى النتيجة النهائية لتنقية العالم الظاهري كبداية لقطع الرابطة بين الفنان والواقع تدريجيا. لقد شبه فاسيلى كاندنسكى أعماله في التصوير بالأعمال الموسيقية وكان يستخدم الألوان والأشكال المجردة وكأنها أنغام، وفي ذلك المجال تطورت تجاربه إلى أن تكشف لديه إمكانية الاستغناء عن الأشكال الطبيعية.

ومن أشهر الفنانين التجريديين في مصر الفنان محسن عطيه .وقد أكد على ذلك المعنى الناقد الفنى صلاح بيصار حين كتب في مقالته بعنوان من شفرات التجريد إلى مرافئ الدهشة، يقول من بين قلة قليلة من فنانينا ظل الفنان محسن عطيه مخلصاً للوحة التجريد، من بداية السبعينيات من القرن العشرين وحتى الآن مؤكدا على أن اللغة البصرية بما تحمل من رموز وما تعكس من خطوط وألوان وتراكيب وصيغ تبدو في شفرات تجريدية قادرة على أن تنقلنا إلى مرافئ الدهشة ومنافذ الحلم؛ خاصة وأعماله فيها من رحيق الأشياء وسحر الأزمنة والأمكنة بل وبقايا عناصر من روح الحياة ووشوشات النور للظلمة وهمس الموجودات، على الرغم من التلخيص الشديد والإيجاز والاختزال. لقد بزغت معالم أسلوبه فترة التسعينيات عام 1972 و1976، امتدت بمزيج من التعبيرية والتجريدية مع ومضات رمزية منذ اشتراكه في معارض جماعة الدعوة للآخر التي أقامت معظم معارضها في قاعات أتيليه القاهرة بوسط البلد، وفي معرضه الذي أقيم بقاعة إكسترا على نيل الزمالك فقد عمق محسن عطيه هذا الاتجاه إلى حد أن أصبح علامة من علامات فنه، ينساب بالنغمات اللونية أشبه بدرجات السلم الموسيقى، على اعتبار أن المذهب التجريدى في الرسم يسعى إلى البحث عن جوهر الأشياء والتعبير عنها في أشكال موجزة تحمل داخلها الخبرات الفنية والأشكال الرمزية التي تعانق الأسطورة خاصة. الرمز هو الصيغة المناسبة للتعبير عن الحقائق المجهولة مثلما أن الأسطورة تمثل استعارات من المظاهر الطبيعية، من أجل أن تعكس العالمين الداخلى والخارجى.

كان قد أعاد الفيلسوف نيتشه بمفهومه عن إرادة القوة والاعتبار الجسدى في مقابل الروحي، ووجه قوة الإرادة الإبداعية نحو جمالية الجسد أما ماليفتش الذي تميز بفنه غير الشخصي البسيط وغير المزخرف فقد أراد تصوير مالا يرى لقد عبر الفنان عن رغبته في أن تصبح الحداثة شكلاً لقوة الإنسان الذي يكرس طاقته من أجل خلق الأشكال الجديدة.

نشأة الفن التجريدي:

تعود نشأة الفن التجريدي إلى ما رُسم في العصور القديمة على الصّخور والفخار، إلّا أنّ فكرة القيام بعمل فنيّ يعتمد على البساطة في تصوير المرئيات لمعت في القرن التاسع عشر الميلادي عند الفنانين أصحاب الحركات الانطباعيّة والتعبيريّة، فظهرت الأعمال الفنيّة التي تشرح قصّةً ما، كما ظهر الفنانون الذين درسوا الإدراك البصريّ للضوء، بالإضافة إلى ظهور الأفكار التي تبتعد عن التقليد والمثالية، ولأفكار التي تدعو للخيال كأحد أهمّ عوامل الإبداع، و في عام 1890م أشار الفنّان موريس دينيس إلى أنّه من الضروري التذكّر أنّ الصورة قبل أن تكون قصّةً، أو حصاناً، أو أيّ شيء آخر، هي في الأصل عبارة عن سطح مستوٍ يحتوي على مجموعة من الألوان المُرتبّة بطريقة مُعيّنة.

ظهر الفن التجريديّ كنوع من أنواع الفنون في أوائل القرن العشرين، وقام الفنانون في تلك الفترة بالعديد من الأعمال الفنيّة التي تعتمد على خيالهم، وليس على ما يرونه من المرئيّات، وقد عرّفوها بالأعمال الفنية النقيّة، وذاع صِيت هذه الأعمال في زمن كاندينسكي تحديداً عام 1911م، ومن اللوحات التي اشتُهرت في ذلك الوقت، لوحات الفنّان الفرنسيّ فرانسيس بيكابيا عام 1909م، ومنها: لوحة "**Picture with a Circle**"، ولوحة "**Caoutchouc**".

أنواع الفن التجريدي:

يوجد عدّة أنواع للفن التجريدي، وهي كالآتي:

الفن التجريدي الانحنائي: يكون الطابع العام لهذا النوع هو احتواء العمل الفني على الخطوط المُنحنية التي تُستخدم لرسم مجموعة من الأنماط المُختلفة، مثل: الدوامات، والدوائر، والأنماط اللولبيّة، ويظهر ذلك واضحاً عند استخدامها في رسم الوجوه البشريّة، وممّا يُلاحظ في هذا النّوع أنّه لا يحتوي على خطوط مُستقيمة أو بزاوية قائمة إطلاقاً، ويشتهر استخدامه كأحد الأنماط الفنيّة في الفنون الموجودة في منطقة خليج بابوا، بالإضافة إلى وجوده في فن السلتيك (بالإنجليزية: **Celtic Art**).

الفن التجريدي المُرتبط بالألوان أو الضوء: يتميّز هذا النوع بوجود دوامات من الصبغات اللونيّة التي تجعل النّاظر للعمل الفنيّ غير قادر على تمييزه جيّداً، ويظهر هذا النّوع في الأعمال الفنيّة للفنان أوسكار كلود مونيه، خاصّةً في سلسلة لوحاته المشهورة التي سمّاها زنابق الماء، كما اشتهر فنانون آخرون في هذا النوع من الفن التجريدي؛ كالفنان جوزيف مالورد.

الفن التجريدي الهندسي: تعود تسمية هذا النوع بهذا الاسم إلى استخدام الفنان الأشكال الهندسيّة على اختلافها، مثل: المُربّعات، والمُثلّثات، والمُستطيلات، والدّوائر، ونتيجةً لذلك يكون العمل الفنيّ بعيداً عن تصوير واقعيّة الأشياء كما هي، فهو يقوم على رسم ثنائيّ الأبعاد للأشياء على عكس ما كان يُستخدم في عصر النّهضة من الرّسم على أساس المنظور لإبراز الأشياء

واقعيّةً أكثر، وقد ظهر هذا النّوع من الفن التجريدي في القرن العشرين مع حركة تحوّل الأنماط الفنيّة، ومن أشهر كُتب التّجريد الهندسيّ في تلك الفترة كتاب "**Composition VII (the three graces)**".

الفن التجريدي الإيمائي: يعتمد هذا النوع على الطريقة التي تُرسم بها اللوحة دون الاهتمام بموضوعها، وعلى اختلاف أنواع الفنون الأخرى غير التجريدية التي تعتمد نهجاً في كيفية طلاء اللوحات الفنية، فإنّ الفن التجريدي الإيمائي يعتمد على الحدس والمشاعر العميقة، ومن اللوحات التجريدية الإيمائية لوحة الرقم خمسة لجاكسون بولوك.

الفن التجريدي البسيط: ظهر هذا النّوع بعد ظهور الفن التجريدي الهندسي، فتمّ استخدام الأشكال الهندسيّة في هذا النوع بشكل مُبسّط أكثر ممّا تمّ استخدامه في التجريد الهندسي، وعلى عكسه فقد تمّ استخدام الرّسم ثلاثي الأبعاد، فكان المُهمّ أن يكون أساس العمل الفني البساطة البالغة، وقد لقي هذا النّوع شُهرةً شعبيّةً كبيرةً مُقارنة بالأنواع الأخرى خاصّةً في العصر الحديث.

مميزات الفن التجريدي:

يتمتع الفن التجريدي بعدّة ميزات، وهي كالآتي:

تشخيص الظواهر النفسية دون تمثيلها: أيّ عدم العودة إلى الأشكال التي تمّت معرفتها، إنّما الاعتماد على ما يصدر من الروح الإنسانية بشكل مُطلق، بالإضافة إلى الاستناد إلى ما هو وراء الأمر الواقعيّ، وبقي الاعتماد على ذلك حتّى وصل الفن التجريدي إلى كونه فن الواقع اللاموضوعي.

الاعتماد على العناصر التعبيرية التصويرية: أيّ الاعتماد على التعابير التحليلية التي ترتبط بكلّ ما هو وراء الطبيعة، أو ممّا يصعب فهمه بسبب العمق الذي فيها، أو ممّا يتعلّق في إظهار العاطفة بشكل أكثر وضوحاً ومُباشرةً، وذلك من خلال التعبير بإشارات محسوسة، أو دلالات ورموز تظهر من خلال الخطوط، والألوان، والأحجام، ممّا لا يُخلّ بالأصل، فعند رسم شيء ما يتمّ الاعتماد على جماليّته بعيداً عمّا يملكه من خصائص طبيعية.

اعتباره من أهم الأساليب الفنيّة التي استوعبت الاتجاه العقلي والعاطفي: يشمل الاتجاه العقلي القاعدة، والنظام، والتناغم، والبناء، أمّا الاتجاه العاطفي فهو الجانب الرّوحيّ، إذ يُعدّ الفن التجريدي من الفنون التي حقّقت توازناً بين عقل الفنان وخياله بشكل يبتعد عن التقليد مع احتواء أيّ تجديد يدعم التشكيل، ويتمثّل ذلك بوجود تفسير عقليّ للتطورات الفنيّة التي توجِد توازناً بين الشّعور الدّاخليّ للفنان وما يرسمه بيده من أشكال مُجرّدة، مُروراً بالألوان وتناسقها وتباينها، والملمس، والخطوط، والمساحات، فتظهر العمليّة الفنيّة كاملةً على نحو مُتناغم بإيقاع مُتّزن.

اتجاهات الفن التجريدي:

الحركة التجريدية لفاسيلي كاندينسكي:

ابتكر هذه الحركة الفنان كاندينسكي في ألمانيا، وهي تُمثّل التيار الروحي، وكانت بداية هذه الحركة من خلال تحديد الفن التجريدي ضمن الأمور الروحية والحدسية وابتعاده عن العقل، فكان كاندينسكي يرى أنّ الموضوعيّة في الفن لا تستمر مع الزمن، بالإضافة إلى ميله إلى عزل الجمال عن الطبيعية زماناً ومكاناً؛ لإيمانه أنّ العمل الفنيّ يتمثّل في ماديّته وظاهريّته في الحقيقة، أمّا الفكرة هي ما توجِد فيه الحياة، ثمّ تطوّر التصوّر الفني لكاندينسكي فأصبح يستخدم الألوان والأشكال بشكل مُجرّد حتّى وصل إلى مرحلة استغنى فيها عن الأشكال الطبيعيّة، ويظهر ذلك واضحاً في أعماله، فقد كانت لوحاته في مراحله الأولى تجمع بين المحتوى التعبيريّ والبناء التشكيليّ، لكنّ الأعمال وإن حَوَت على شاعريّته إلّا أنّ الطابع التشكيليّ غلب عليها، وذلك باستخدامه الزوايا الحادّة، والمثلّثات، والدّوائر، وفي مرحلة لاحقة أصبحت أعماله الفنيّة تميل إلى امتلاكها طابعاً هندسيّاً مُتّزناً؛ لاستخدام الخطوط المستقيمة فيها، بالإضافة إلى الأقواس.

كانت أولى أعمال كاندينسكي الفنيّة التجريديّة عام 1910م، وذلك بعرضه لوحته تحت عنوان تجريد، وقال في ذلك: "يجب أن يُصبح الفنّ مُجرّداً عن أصله ويرتبط بمعنى مُحدد معروف"، إذ يقصد من أنّ للألوان والأشكال معاني مُستقلّة عن معانيها الأصليّة في الطبيعة، وهي تكتسب معانيها الجديدة بصياغة الفنان لها لتؤدّي دلالةً يُريدها ومعاني مُعيّنةً يهدف إليها، وكان نهج كاندينسكي في أعماله الفنيّة من خلال إعادة صياغة معاني الألوان بما يتوافق مع أفكاره، مع إعادة تنظيم الأشكال بشكل يعكس دلالاتٍ معيّنةً، ويصف النّاقد ماريون مليز هذا النهج قائلاً: "عندما شاهدت من كاندينسكي شعرت بأنني تائه في عالم التعريفات الساحرة".

الجدير بالذكر أنّ الأساس الذي اعتمده كاندينسكي في نظريته الجماليّة للفن كان الفيلسوف الألمانيّ شوبنهاور قد بدأ بها قبله، فهي نظريّة قائمة على أساس فصل النّموذج العضويّ عن الأشكال الطبيعيّة، بالإضافة إلى كَوْن البناء التصويريّ للأشياء يجب أن يكون حرّاً دون الإشارة إلى الأشكال الطبيعيّة.

الحركة التجريدية لبيت موندريان:

ابتكر هذه الحركة الفنان موندريان، وهي تُمثّل التيار الرياضيّ، فقد مثّل موندريان في أعماله الحالات الموضوعيّة لعاطفة الفنّان، ممّا يطمس الطبيعة الماديّة والواقعيّة للأشياء، أو وجودها بشكل نقيّ خالص، وذلك أهم مبادئ اللاموضوعيّة في الفن، وتظهر هذه الخصائص في أعمال موندريان التي تعتمد على تعامد الخطوط الأفقيّة التي تمتلك طابع السكون والهدوء، والرأسيّة التي تمتلك طابعاً مُتّزناً، ويُوضّح موندريان سبب اعتماده هذا النّمط بخلق عالم مُستقلّ بعلامات من خطوط مُتعامدة قائلاً: "إنّه وراء أشكال الطبيعة المُتغيّرة تكمن حقيقة نقيّة ثابتة، ولها قوّة تعبيريّة".

يجدر بالذكر أنّ أعمال موندريان بقيت حتّى عام 1942م تملك طابعاً تقسيميّاً من خطوط أفقيّة ورأسيّة، مع اعتماده تنوّعاً في ألوانها، وكان قد استخدم الألوان الآتية: الأحمر، والأصفر، والأزرق، والأسود، والأبيض، ويرى موندريان أنّ اللوحة الفنيّة

هي سطح قُسِّم من خلال خطين أو ثلاثة بلون أسود، وأنّها بذلك تعكس شعوراً بالمثاليّة، والشموليّة، والتوازن، كما تطرّق إلى إيجاد طريقة تُمكّن من خلق واقع تشكيليّ نقيّ من خلال تحويل الألوان والأشكال الطبيعيّة إلى أدوات ثابتة الشّكل تحت قانون وحدة الكتلة.